

تفسير ابن كثير

يقول اﷻ تعالى مخبرا عن ذلك الحال حين نزلت الأحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق ورسول اﷻ صلى اﷻ عليه وسلّم بين أظهرهم أنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزالا شديدا فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم { وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا اﷻ ورسوله إلا غرورا } أما المنافق فنجم نفاقه والذي في قلبه شبهة أو حسيكة لضعف حاله فتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال وقوم آخرون قالوا كما قال اﷻ تعالى : { وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب { يعني المدينة كما جاء في الصحيح [أريت في المنام دار هجرتكم أرض بين حرتين فذهب وهلي أنها هجر فإذا هي يثرب] وفي لفظ : المدينة .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن مهدي حدثنا صالح بن عمر عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء B قال : قال رسول اﷻ صلى اﷻ عليه وسلّم [من سمى المدينة يثرب فليستغفر اﷻ تعالى إنما هي طابة هي طابة] تفرد الإمام أحمد وفي إسناده ضعف واﷻ أعلم ويقال كان أصل تسميتها يثرب برجل نزلها من العماليق يقال له يثرب بن عبيد بن مهلايل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح قاله السهيلي قال : وروي عن بعضهم أنه قال : إن لها في التوراة أحد عشر اسما : المدينة وطابة وطيبة والمسكينة والجابرة والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة وعن كعب الأخبار قال : إنا نجد في التوراة يقول اﷻ تعالى للمدينة : ياطيبة وياطابة ويا مسكينة لا تقلبي الكنوز أرفع أحجرك على أحجر القرى .

وقوله { لا مقام لكم } أي ههنا يعنون عند النبي صلى اﷻ عليه وسلّم في مقام المراقبة { فارجعوا } أي إلى بيوتكم ومنازلكم { ويستأذن فريق منهم النبي } قال العوفي عن ابن عباس B هما : هم بنو حارثة قالوا : بيوتنا نخاف عليها السراق وكذا قال غير واحد وذكر ابن إسحاق أن القائل لذلك هو أوس بن قيطي يعني اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة أي ليس دونها ما يحجبها من العدو فهم يخشون عليها منهم قال اﷻ تعالى : { وما هي بعورة } أي ليست كما يزعمون { إن يريدون إلا فرارا } أي هربا من الزحف